19me, année No 931

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Le Caire 7 — 5 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٣١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ رجب سنة ١٣٧٠ — ٧ مايو سنة ١٩٥١ — السنة الثامنة عشرة »

الربيع فى الشعر المصرى *

اقترحت علىّ الإذاعة أن أتحدث اليلة عن الربيع فى الشعر المصرى ؛ وفى هذا الاقتراح وئام وانسجام مع (شم النسيم) ؛ فان الذين قضوا يومه البهيج المرح على بساط الربيع ، يجتلون جمال الطبيعة المتبرجة فى الزهر والنهر ، ويستوعبون أسرار الحياة المنبثة فى السماء والأرض ، يسرهم أن يسمعوا تعبير الشعر عما شهدوه من جمال النيل ، وأحسوه من فتنة واديه ، ولم يستطيعوا الهتاف به ولا التعبير عنه . وما كان أحب إلى نفسى أن أهيىء لهم هذا السرور لو وجدت السبيل إليه ؛ فانى قرأت ما نظم الشعراء المصريون قدماؤهم ومحدثوهم فى الربيع المصرى ، فلم أجد فيه على قلته وتبعيته صدقا فى الشعور ولا مطابقة للواقع . قرأت ما قال ابن وكيع التنيسى ، وابن سناء الملك ، وابن الساعاتى ، وابن نباتة ، والشاب الظريف ، وابن مطروح ، والبهاء زهير ، من نوابغ المتقدمين ؛ ثم قرأت ما قال شيوخ الشعر وشبابه من صفوة المتأخرين ، فلم أجد إلا كلاما عاما يقال فى كل ربيع ، ووصفا مجملا يصدق على كل روضة ا تعبيرات محفوظة من لغة الشعر ، وتشبيهات منقولة من موروث البيان ، صافها كل شاعر على حسب طاقته وآلته ، فجاءت وصفا لربيع مجهول لا حقيقة له فى الخارج ، ولا أثر له فى الذهن . أما الشعور النفسى الذى يدرك الشاعر الأصيل فى جو معين ومنظر محدود وزهرة خاصة ، فيصل به بين النفس والطبيعة ، وبين الفكر والصورة ، وبين الفن والواقع فذلك ما لا أثر له فيه . ولعلك إذا استثنيت من أشعار العرب فى الربيع ، شعر ابن الرومى فى العراق ، وشعر البحترى فى الشام ، وشعر ابن خفاجة فى الأندلس ، وجدت سائرها من هذا النمط المصرى الذى تجد فيه الألفاظ المبهمة ، ولا تجد فيه المعانى الملهمة . فأشعارهم فى الربيع أشبه بأشعارهم فى الغزل ، أقلها نفسى صادق يصدر عن القلب وينقل عن الوجدان ؛ وأكثرها حسى كاذب يصدر عن الحافظة وينقل عن الكتاب . والمصريون أولى من غيرهم بالعذر إذا خلا شعرهم من وحى الربيع ؛ لأن الربيع الذى يزور الأرض فى أبريل ومايو ، لا يزور مصر إلا فى أكتوبر ونوفمبر . فالخريف فى مصر هو الربيع الحق فى نضرته وزينته وعطره . فأينما تدر بصرك فى حقول القمرة وقصب السكر والبرسيم ، لا تجد إلا رياضا شجراء من شراب وعنب ، ومروجا فيحاء من زهور وكلأ . ثم ترى النيل فى أعقاب فيضانه كذوب التبر بنساب هادرا فى الترع والقنوات ، فيجعل من ضفاف الجداول ، وحفاف الطرق ، وحواشى النيطان ، سلاسل زبرجدية من الريحان والعشب . لذلك افتن شعراء الريف فى وصف الخريف وأبدعوا . وأما ذلك الربيع الجفراق الذى يقبل على مصر مع الرياح الخمسينية والعواصف الرملية والتقلبات الجوية

* ألقيته فى مساء شم النسيم ٣٠ ابريل سنة ١٩٥١

فانه أردأ فصول العام . يطرد النسيم بالسموم ، ويخنق المطر بالغبار ، ويذبل الزهر باللهيب ، ويرمى الطير بالبكم ، ويفسد المزاج بالوخومة . ثم يكون حلوله بعد رحيل شتاء هادىء جميل ، في هوائه الدفء ، وفي جوه الصحو ، وفي سمائه الإشراق ، وفي أيامه النشاط ، وفي لياليه الأنس . فاذا رأيت الريف في الشتاء ، رأيت الأرض على مدى البصر قد غطاها بساط من السندس الأخضر ، تخف خضرته في حقول القمح فتكون كالزمرد ، وتثقل في حقول البرسيم فتكون كالفيروزج ؛ فلا يجد الشاعر المصري وقد انتقل من رقة هذا الشتاء إلى قسوة ذلك الربيع ما يجده الشاعر الأوربي من الحياة والمرح والبهجة والنشوة والطلاقة حين ينتقل من شتائه المكفهر بالثلوج إلى ربيعه المكسو بالورود

للربيع في الشعر الأوربي أرخم الأوتار وأعذب الألحان من موسيقى الشاعر ؛ لأن الشتاء في أوربا عناء طويل وهم ثقيل : ظلام متكاثف يحجب السماء ، ومطر واكف يغمر الأرض ، وبرد قارس يهرأ الأجساد ، وغمام متراكم يسد الأفق فلا ترى شعاعة شمس ولا خفقة طائر ؛ وثلج متراكب يطمر الثرى فلا تجد عشبة في مرج ولا زهرة في حديقة . والناس هناك في حنين دائم إلى الربيع ، لأنه في دنياهم حياة بعد موت ، وابتهاج بعد كآبة . ولشعرائهم فيما يبشرهم بمقدمه رقائق من الشعر الشاعر ، تقرأها في البشريات الأولى ، كشيوع الدفء في النسيم ، ودبيب الحياة في الشجر ، وعودة العصفور المهاجر إلى عشه ، وخرير الجدول الجامد بعد صمته . فاذا أقبل الربيع متمهلا عما حرموه طويلا من جلوة الطبيعة في الأفق المشرق ، والروض البهيج ، والجو المعطر ، والطير الصادحة ، والضواحي الأنيقة ، والغابات الوريفة ، والمتنزهات اللاعبة . والربيع الأوربي على الجملة تغيير في النفس وتجديد في الحياة . والتغير والتجدد يلهبان القرائح الخلاقة شعرا يمتزج فيه الوجدان بالوجود ، ويتصل به الخيال بالحقيقة .

أما شعراؤنا المصريون فأى جديد يأتيهم به الربيع في آفاقهم وفي أنفسهم ؟ إن الشمس والدفء والصحو والطير والزهر والزرع والماء من خصائص مصر الطبيعية ، لا تنفك عنها طيلة العام ، حتى ألفتها المشاعر والنفوس ، فلا تشتاقها لأنها لا تغيب ، ولا تحتاجها لأنها لا تنقطع . ومن هنا تشابهت الفصول الأربعة في حس الشاعر ، فلا يكاد يرى اختلافا بينها إلا في حيوية الشتاء وشاعرية الخريف . ولذلك لم يجد الشعراء ما يقولونه في الربيع . فاذا قالوا مدفوعين بغريزة المحاكاة أو بشهوة المعارضة ، قالوا كلاما قد يكون منضد الألفاظ ، مجود التشابيه ، ملون الصور ؛ ولكن الفرق بينه وبين الشعر الصحيح يكون كالفرق بين الجماد والحي ، أو بين الدمية والمرأة

ولقد نظرت في شعرنا القديم والجديد فلم أر شاعرا قبل شوقي ولا بعده خص الربيع بقصيدتين من محكم الشعر وجيده ، إحداهما طويلة مستقلة ، أهداها إلى الكاتب القصصي هول كين ، والأخرى قصيدة تابعة جعلها صدرا لقصيدته التي نظمها في المهرجان الذي أقيم لتكريمه ، يقول في الأولى :

آذار أقبل قم بنا يا صاح ... حي الربيع حديقة الأرواح
واجمع ندامى الظرف تحت لوائه ... وانشر بساحته بساط الراح
صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها ... فالصفو ليس على المدى بمتاح
واجلس بضاحكة الرياض مصفقا ... لتجاوب الأوتار والأقداح

إلى أن يقول :

ملك النبات فكل أرض داره ... تلقاه بالأعراس والأفراح
منشورة أعلامه من أحمر ... فان وأبيض في الربى لماح
لبست لمقدمه الخمائل وشيها ... ومرحن في كنف له وجناح
الورد في سرر الغصون مفتح ... متقابل يثنى على الفتاح
ضاحي الموا كب في الرياض مميز ... دون الزهور بشوكة وسلاح
مر النسيم بصفحتيه مقبلا ... مر الشفاه على خدود ملاح
هتك الردى من حسنه وبهائه ... بالليل ما نسجت يد الاصباح
ينبيك مصرعه وكل زائل ... أن الحياة كغدوة ورواح
ويقائق النسرين في أغصانها ... كالدر ركب في صدور رماح
والياسمين لطيفه ونقيه ... كسريرة المتنزه المماح
متألق خلل الغصون كأنه ... في بلجة الاصباح ضوء صباح

ثم يقول في الأخرى :

مرحبا بالربيع في وبمانه ... وبأنواره ، وطيب زمانه
زفت الأرض في مواكب آزا ... ر ، وشب الزمان في مهرجانه
نزل السهل ضاحك البشر يمشي ... فيه مشي الأمير في بستانه
عاد حليا براحتيه ووشيا ... طول أنهاره ، وعرض جنانه

٣ - فى الحديث المحمدى

للاستاذ محمود أبو رية

الكذب على رسول الله :

شر الرذائل كلها الكذب ، لا يختلف فى ذلك أحد ، وليس فى خلال الإنسان أسوأ من خلة الافتراء ، ولا فى أدواء الجماعات أعضل من داء البهتان

وإن كان الكذب بين الأفراد والجماعات مما يمكن تداركه والقضاء عليه ، فإن بلاءه ولا ريب يكون عميما وضرره يكون عظيما إذا كان على مثل رسول الله (ص) ، إن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره ، إذ هو رسول دين عام ، وصاحب شريعة للناس كافة. وقد أخرج البزار وأبو يعلى والدارقطنى والحاكم فى الدخل عن سعيد بن عمرو بن نفيل قال : سمعت عليا روى البخارى وغيره عن ربعى بن خراش قال : سمعت عليا قال رسول الله « إن كذبا على ليس ككذب على أحد »

وقد أتت الرسالة المحمدية بأصول فى العقائد ليس لإنسان مهما بلغ من العلم أن يغير أصلا من أصولها ، وجاءت بأحكام للعبادات لا يجوز لأحد أن يزيد فيها ، أو ينقص منها ، أو يعدل شيئاً من صورها أو أزمانها ؛ لأن الدين كما هو معلوم للدارسين مبنى على أساسين (١) لا يعبد إلا الله (٢) ولا يعبد إلا بما أمر . وما عدا ذلك من نظم العمران ، وقواعد الاجتماع ، فقد وضع له الدين أسساً عامة من العدل والرحمة وعدم الضرر والصدق والأمانة والإحسان وما إليها من الفضائل ، وهذه الأسس العامة قد وضعت ليهتدى بها الناس فى كل زمان ، وتشرق بضيائها على كل مكان

فهذا الذى جاءت به الرسالة المحمدية وبخاصة ما نطق به الرسول ، لا يصح أن يشوبه ما ليس منه ، ولا يخالطه ما يغايره ، ومن أجل ذلك كان أشد ما يخشاه صلوات الله عليه أن يكذب أحد عليه ، وقد شدد فى هذا الأمر تشديداً عظيما حتى جعل جزاءه القتل فى الدنيا ، وعذاب النار فى الآخرة

اف فى طيلسانه طرر الأر ض فطاب الأديم من طيلسانه

ساحر ، فتنة العيون ، مبين فعسَّل الماء فى الربا بجمانه

عبقرى الخيال ، زاد على الطيـــف ، وأربى عليه فى ألوانه

صبغة الله ؛ أين منها رقائيـــل ، ومنقاشه وسحر بنانه ؟

رنَّم الروض جدولا ونسيما ونلا طيرَ أيكه فغنن بانه

وشدت فى الربا الرياحين همساً كتغنى الطروب فى وجدانه

كل ريحانة بلحن ؛ كمرس ألفت للغناء شتى قيانه

نغم فى السماء والأرض شتى من معانى الربيع ، أو ألحانه

هذه وتلك أيها السادة أبيات من قصيدتى شوقى فى الربيع ؛ وهما كما علمتم مما سمعتم مثالان من الشعر العالى الطبقة الرفيع النسق إذا وازناهما بالمأثور من الشعر المصرى فى هذا الباب ، وربما انقطع نظيرهما أو ندر فى الشعر العربى كله ! ولكننا إذا وازناهما بما قرأنا فى موضوعهما من الشعر الأوربى قالت كفتهما فى هذه الموازنة . فإن شوقى رحمه الله جرى على مذهب من سبقوه ، فلم يصف فيهما ربيعا بعينه ، فى إقليم بعينه ، بصح أن يخلط به نفسه ، ويضيف إليه شعوره ، ويعرض ما يرى فيه من شجر وطير وعطر وفتون ، على ما يجد فى نفسه من حب وذكرى ونشوة وصبابة ، فيأتلف النظر والناظر ، ويتحد الشعور والشاعر ؛ إنما وصف شوقى ربيعا عاما كما تخيله لا كما رآه ، وكما تمثله لا كما أحسه ، فجاء الوصف معجما مبهما قد يعجب ويطرب بألفاظه ، ولكنه لا يؤثر ولا يمرس بمعانيه . والقصيدتان على أى اعتبار مشاركة جميلة من الشعر المصرى للشعر العالى فى تمجيد ذلك السر الذى يبثه الله كل سنة فى الربيع ، فيعيد الحياة ، ويرجع الشباب ، ويجدد الأمل ، وينشر الجمال ، وينشأ عنه فى الدنيا هذا البعث العجيب !